

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Obbeikenda.com

الناس يفهمون الدين على أنه مجموعة الأوامر والنواهي ولوائح العقاب وحدود الحرام والحلال .. وكلها من شئون الدنيا .. أما الدين فشيء آخر أعمق وأشمل وأبعد .

الدين في حقيقته هو الحب القديم الذي جئنا به إلى الدنيا والحنين الدائم الذي يملأ شغاف قلوبنا إلى الوطن الأصل الذي جئنا منه والعطش الروحي إلى النبع الذي صدرنا عنه والذي يملأ كل جارحة من جوارحنا شوقا وحنينا .. وهو حنين تطمسه غواشي الدنيا وشواغلها وشهواتها .

ولا نفيق على هذا الحنين إلا لحظة يحيطنا القبح والظلم والعبث والفوضى والاضطراب في هذا العالم ، فنشعر أننا غرباء عنه واننا لسنا منه وإنما مجرد زوار وعابري طريق ، ولحظتها نهفو إلى ذلك الوطن الأصل الذي جئنا منه ونرفع رؤوسنا في شوق وتلقائية إلى السماء وتهمس كل جارحة فينا .. يا الله .. أين أنت ؟ .

ولحظة نخطيء ونتورط في الظلم وننحدر إلى دركات الخسران فننكس الرؤوس في ندم وندرك أننا مدانون ، مسئولون .. فذلك هو الدين .. ذلك الرباط الخفى من الحنين لماض مجهول .. وذلك الاحساس بالمسئولية وبأننا مدينون أمام ذات عليا .. وذلك الاحساس العميق في لحظات الوحدة والهجر بأننا لسنا وحدنا وإنما نحن في معية غيبية وفي أنس خفى وأن هناك يدا خفية سوف تنتشلنا وذاتا عليا سوف تلهمنا وركنا شديدا سوف يحمينا وعظيما سوف يتداركنا .. فذلك هو الدين في أصله وحقيقته وماتبقى بعد ذلك من أوامر ونواه وحرام وحلال وأحكام وعبادات هي تفاصيل ونتائج وموجبات لهذا الحب القديم .

ولكن الحب هو رأس القضية .. وإذا غاب ذلك الحب فان كل العبادات والطاعات لن تصنع ديناً ولن تصنع متديناً مسلماً كان أو مسيحياً أو يهودياً ، وما كان الصليبيون الذين جاءونا غزاة طامعين .. على دين .. أى دين .. ولا كان سفاحوا الصرب الذين يقتلون الأبرياء على أى ملة من ملل النصراني ولا كان إرهابيو اليوم الذين يفجرون القنابل مسلمين .. ولو صلوا جميعاً ولو صاموا الدهر ولو أطالوا اللحي وقصروا الجلابيب وحملوا المصاحف ورتلوا الآيات .. ما بلغوا من الدين شيئاً .

وهل بلغ النبي يحيى (يوحنا المعمدان) عليه الصلاة والسلام ما بلغه من نبوة إلا بذلك الحنان الذي كان يفيض منه ، والذي قال فيه ربه : « وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقياً » ( ١٣ - مريم ) فتلك كانت أركان نبوته .. الحنان والزكاة والتقوى ، ونبينا عليه الصلاة والسلام الذي كان يحتضن جبل أحد ويقول : هذا جبل يحبنا ونحبه .. حتى الجماد كان موضع حب النبي وتوقيره . وهذا ابن عربى يقول : لن تبلغ من الدين شيئاً حتى توقر جميع الخلائق ، وهذا ربنا يقول عن المؤمنين : « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » ( ٣ - الحجرات ) فالقلوب هى دائماً موضوع الامتحان وحب الله وحب ما خلق وما صنع من أرضين وسموات ونبات وحيوان وبشر هو جوهر كل الديانات الحقّة .. وهو المقياس الذى نفرق به بين أهل الدين .. والأدعياء المشعوذين والكذبة وكل الدعاة الذين يغرقون أتباعهم فى التفاصيل والقشور والمظاهر ويتعدون بهم عن روح الدين .. عن الحب والرحمة والتقوى ومكارم الاخلاق .. هم من الكذبة بقدر بعدهم عنها وما كان اعتراض المسيح على الفريسيين إلا لإغراقهم فى الجدل وفى حرفية النصوص وفى ظاهر الكلمات دون التفات الى روحها وما كانت نقمة موسى على اليهود حينما أمرهم بأن يذبحوا بقرة .. إلا لإغراقهم فى الجدل والتنطع والسؤال .. أى بقرة تكون وما لونها؟ ، بنية هى أم مرقشة أم صفراء .. عجوز أم بكر .. « أدع لنا ربك يبين لنا ما هى » .. أو لعك تهزأ بنا .. هذا الجدل والغرق فى التفاصيل والتحجر على الحروف والكلمات أخرجهم من الدين فى نظر موسى واستحقوا عليه التقرير واللوم .

وللأسف الشديد التدين اليوم خرج من روح التدين بسبب انحراف الدعوة وانحراف أكثر الدعاة وإغراقهم في القشور والتفاصيل والخلافيات والأمور الثانوية مما ألقى بأكثر المسلمين الى الاختلاف والجدل ، ومما خلق الذرائع لمحترفي الارهاب ولهواة التعصب ومما أوجد هذا التدين السطحي المتهوس الأبله ، وأرى أننا مطالبون اليوم أكثر من أى يوم مضى بالعودة الى روح الاسلام والى نبعه الشامل .. الى فضائل الحب والرحمة والمودة والتقوى وسعة الصدر مع الخصوم وتدبير معانى النصوص وعدم الوقوف عند حروفها وقراءة القرآن بالقلب وليس بالأحداق .  
والاسلام ليس ألغازا وليس لوغاريتمات ولا يحتاج منا الى كل تلك الفتاوى .

والنبي عليه الصلاة والسلام أجاب من سأله عن الاسلام فقال فى كلمات قليلة بليغة :

« قل لا اله إلا الله ثم استقم »

هكذا ببساطة .. كل المطلوب هو التوحيد والاستقامة على مكارم الأخلاق .

إنها الفطرة والبداهة التى نولد بها لا أكثر ، أن تحب أخاك كما تحب نفسك .

اسأل نفسك .. هل تنام كل يوم على مودة وحب ورغبة فى الخير ونية فى عمل صالح أم على غل وكراهية وحسد وتربص ؟ .. وستعلم الى أى مدى أنت على دين الاسلام .

ماذا تخفى فى طيات ثيابك .. هل تخفى خنجرا أو مسدسا .. أم تخفى هدية حب ورسالة خير لإخوانك ؟  
هل تخطط لتبنى أم لتهدم ؟!

هل تنطق بالطيب من القول وبالنافع من الكلام أم تدعو الى الخراب والدمار والفتن ؟

إن الدين لا يحمل سييفا إلا للدفاع عن مظلوم ولا يعرف العنف إلا اصلاحا .

بهذه المقاييس تعرف نفسك وتعرف الخانة التي يقف فيها ذلك الداعية الذي يدعوك الى الاسلام.. وتعلم أين يقف.. مع الدين أم مع الاجرام .  
إن الفطرة والبداهة دليلك.. ولست في حاجة الى فقه أو فلسفة أو فتوى .  
قلبك يفتيك .

إنه الحب .. قلب القضية وروحها .. والجوهر الصافي لجميع الأديان  
وكل الرسالات .

أما الشرائع والأوامر والنواهي فهي لتنظيم شئون الدنيا لا غير.. وهي تابعة للإطار العام.. إشاعة السلام والعدل والحب بين الناس.. وسوف يتوقف عملها في الآخرة .. حينما لا يعود لأحد حكم أو سلطان .. « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » .

إنتهت وظيفة كل الشرائع وكل الأوامر .. لأن الأمر الآن اصبح أمر ملك الملوك مباشرة والتصريف وتصريفه والعدل عدله والبطش بطشه.. ولم يعد لأحد الحرية في أن يطغى أو يظلم .

ومجال الشرائع أذن محدود بوظائفها وزمانها .

وكما قال الفقيه الاسلامي العظيم.. العز بن عبد السلام :

في زمان شيوع البلوى إذا أصبح تطبيق الشريعة مؤديا الى ازدياد المنكر فإنه يحسن بالمسلم عدم تطبيقها .

ومن هنا أفتى بعدم تطبيق حد الخمر على عسكر التتار ، لأن سكرهم وغيبوبتهم سوف تكف شرهم عن الناس وفي ذلك فائدة وخير .. بينما إفاقتهم سوف تؤدي بهم الى معاودة الأذى والضرر وفي ذلك مزيد من المنكر .

لقد فهم ذلك الفقيه العظيم أن حكمة الشرائع هي إقامة المصالح في الدنيا وأنها مرتبطة بالمنافع وليس لها حكم مطلق وأن مجالها محدود بوظائفها وزمانها .

وبهذا المعنى نفسه لم يطبق النبي عليه الصلاة والسلام حد القطع على السارق في سنوات الحرب كما لم يطبقه عمر بن الخطاب في عام المجاعة .

ونفس هذا الكلام يقال للغوغائيين من الدعاة والسطحيين الذين

يطالبون بقطع الأيدي والرجم والجلد علاجا للفساد الموجود .. وهم لا يعلمون أن الفقه الاسلامي نفسه لا يوافقهم على هذا الفهم السطحي والغوغائي .. فالعصر باعترافهم عصر شيوع الفساد وشيوع البلوى وبالتالي يستوجب فقها آخر ملائما للظرف القائم .. لأن تطبيق الحدود العادية سوف يزيد المنكر نكرا .. فالوزير والكبير الذي يسرق مئات الملايين عن طريق العمولات لن تنطبق عليه شروط القطع الفقهية التقليدية وسوف يعفى من القطع بينما النشال الذي يسرق خمسة جنيهات سوف تقطع يده وفي ذلك ظلم فاحش وتشجيع لكل بأن يسرقوا وينهبوا بالوسائل الملتوية من عمولات ورشوة وإختلاس وتزييف وخلافه .. وفي ذلك حض على عموم المنكر.

وعلى باب أي محكمة يمكنك أن تشتري أربعة شهود زور لتقطع يد من تريد ، وترجم من تشاء ، ثم من يقطع يد من في عالم كله من اللصوص والمرتشين !!؟

ونفس الشيء يقال في معاقبة الزاني بالرجم في الوقت الذي تحض فيه الإذاعات والبث التلفزيوني الخارجي الهابط من الجو عبر الأقمار الصناعية على الفحش العلني وتدفع بالشباب دفعا الى الفسق .. فالشباب مجنى عليه وليس جانبا واطلاق الحدود في مثل هذه الحال من شيوع البلوى ظلم .. فضلا عن استحالة استيفاء الشروط الفقهية للرجم وهي ، أربعة شهود يحلفون بأنهم شهدوا عمليات الإدخال .. فالعقوبة هنا غير واردة .. وهؤلاء الدعاة الغوغائيون يقولون افكا من القول وزورا ويباشرون فهما متحجرا ضيق الافق ، لايقول به أي فقيه مسلم مستنير . وينسى هؤلاء عقلانية الإسلام ومرونته وتقديره للظروف .. ويأخذون من القرآن آية واحدة مقطوعة عن سياقها ويغفلون روح القرآن في مجموع آياته ونصوصه وهو كتاب أوله رحمة وآخره رحمة .

ألم يقل الانجيل في صريح آياته :

إن اعثرتك يدك فأقطعها وإن اعثرتك عينك فاقطعها .

وهو أمر بقطع اليد التي تسرق وفقء العين التي تزني .. ومع ذلك لم

يقول أحد من المسيحية بهذا .. وإنما وضعوا الآية داخل مجموعة آيات الانجيل وسورة ، وقالوا بالروح العامة التي تشيع في كتابهم .. وهى روح المحبة والرحمة والعفو والمغفرة .. واكتفوا بالعقوبات التعزيرية مثل السجن والتأديب والغرامة .

بهذا المفهوم من الحب والرحمة يكون النظر الى الشرائع فى إطار زمانها ومكانها وظروفها وفى إطار الرحمة التى أوجبها الله .. فهو سبحانه خلق لنا الشرائع لإسعادنا فى الدنيا وليس لتعذيبنا وخلق لنا العقل لنتدبر كلماته ولم يضع داخل رؤوسنا حجارة ولا جعلنا آلات تنفذ فى آية بلا تدبير وبلا تفكير .

وأراد بروح النصوص أن تكون هى الحاكمة على حروفها .. وبدأ باسمه الرحمن الرحيم كل شىء .

وإسلامنا أوله رحمة وآخره حمد وأوسطه محبة .. والحب هو روح الوجود وهو سر ديمومته .. وهو النفحة الربانية التى بدونها تنهد أركان الشرائع جميعها وتزول النعمة وينعدم المعنى وبدون الحب فى قلبك لا يعود لوجودك معنى ولا لفضائلك معنى ولا لدينك معنى أى معنى مهما أطلقت اللحن وبسملت وحوقلت وصمت وحججت واعتمرت .

وغنى عن البيان أن المقصود بالحب هنا هو حب الحق وحب الخير وحب العدل وحب الجمال وحب المثل العليا وهى جميعها أسماء الله الحسنى ومسمياته .. فهو سبحانه وحده الذى له المثل الأعلى فى السموات والأرض .. وهو الحق وهو العدل الحكيم وهو بديع السموات والأرض . وكل جمال فى الكون يرتد الى جماله وكل كمال فى الخلق يرتد الى كماله وهذا هو الحب القديم الذى فطرنا عليه منذ أن خاطبنا ربنا قبل أن نولد وقبل أن نجىء الى الدنيا هاتفا بنا :

« ألت بربكم » .

فقلنا جميعا ونحن ننظر بتعلق وحب الى وجهه الكريم :

« بلى شهدنا » ..

وهذا الحب هو حقيقة كل الأديان وروح كل العقائد وأساس كل الملل .. وبدونه لا معنى لدين ولا معنى لدينونة .

وهذا الشوق النبيل هو الطاقة الدافعة وراء كل فن عظيم وكل إبداع رفيع ، وكل فكر ملهم ، وكل استشهاد وكل فداء وكل بطولية .  
وهذه النورانية فينا هي التي اقتضت سجود الملائكة وتسخير الكون لنا .. وهي التي جعلت حياتنا رغم مشقاتها وعذابها جديرة بأن نحياها .

### وبدون هذا الحب

في ساعات الخطر يتحد المختلفون ويلتقى أبناء العم وأبناء الخال وأبناء سابع جد وتذوب الأحقاد الصغيرة ويؤلف الخطر الداهم وشيخة توحيد كل القلوب ..

وهذا شأننا اليوم وقد رأينا ما يصنعه الحلفاء الأوروبيون والأمريكيون بمسلمي البوسنة المظلومين المحاصرين بالرصاص والقنابل والجوع والموت فلا تكون نجدتهم إلا بتكريس هذا الظلم وإضفاء الشرعية على هذا الحصار وإقرار الناهب على ما نهب والتسليم للمغتصب بما اغتصب ، ثم تحويل ما تبقى من أرض إلى معتقلات أبدية تعيش فيها البقايا المنهوبة والهيكل المغصوبة تتسول المعونات من جنود الأمم المتحدة وتأكل من فئات الأيدي مثل حيوانات الأقفاص .

وتلك هي القرارات الوضعية التي وصل إليها السادة الأوروبيون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

أخيرا أفصح هؤلاء الناس عن عواطفهم الحقيقية ، اتفقوا في البداية على تكتيف أيدي الضحايا وحظروا عليهم أي سلاح يدافعون به عن أنفسهم .. وأخيرا قرروا سجنهم في جيوب ومعتقلات إلى الأبد يلقون إليهم بفتات الطعام وهذا عدلهم .. وهذا قانونهم .. وبئس ما صنعوا .

فماذا نحن فاعلون ؟

أما زلنا نختلف سنة وشيعة وشوافع وأحنافا وزيودا .. وعلى ماذا ؟  
على ماء الوضوء يصل إلى الكوع أو يشمله .. وعلى الأيدي ترسل على الجانبين أثناء الصلاة أو تضم على الصدر .. وعلى نقاب أم حجاب .. ولحية أم جلباب .. وأذان واحد لإقامة الصلاة أم أذانان .. ونجهر بالصلاة متى ونخافت بها متى .. وننتظر الإمام الغائب أم لا ننتظر .. ونولى الفقيه أم السياسى .. ونضع أموالنا في البنك أو في دفاتر الادخار ؟ ..

يا سادة .. فيم تختلفون .. ألا ترون الأيدي التي تريد أن تلقى بكم في جب وتهيل عليكم التراب .. ألا تسمعون كلام الله يدوي في أذانكم .  
« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ( ٩٢ - الأنبياء ) .  
ألا تسمعون وعيده وتهديده :

« وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ( ٣٨ محمد ) .  
وإنه ليوشك أن يفعل إذا استمر خلافتنا .

وقيم الخلاف وقد آذن الموت باقتراب وأطبق علينا التآمر من كل جانب وكيف يختلف أهل توحيد وأهل فطرة .. دينهم أبسط وأوضح من نور النهار .. أوجزه نبيهم في كلمات :

قل لا إله إلا الله ثم استقم .

لم يذكر عمامة ولا جلبابا ولا لحية ولا تقايا .. وإنما فقط الاستقامة على مكارم الأخلاق وعلى توحيد الله .. وكل ما عدا ذلك فضول .. وهل البنوك حرام أم حلال ؟ وهل التصوير حرام أم حلال ؟ . وهل الغناء حرام أم حلال ؟ .

وقد غنى البنات والأولاد للنبي عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة وأنشدته الخنساء الشعر فاستزادها .. ولو كانت هناك كاميرات على زمان النبي لوجدنا له ولصحابته الكرام مئات الصور .

وهناك الجيد والراقيع من الفنون الذي تنشرح له الصدور ، وهناك الوضيع والهابط الذي تعافه الأذواق وترفضه النفوس قبل الشرائع .  
وتستجد في كل زمان أحوال وظروف .

وتطراً ملابسات ومتغيرات ..

ثم لا تختلف الأذواق على قبح القبيح وعلى حسن الحسن .

ولا يحتاج أهل الفطر السليمة إلى فتاوى وإنما قلب المؤمن دليله .

إنما هي تجارة جديدة يمشى بها تجار السوء في الناس فيشككون في كل شيء ويبثون الوسواس وينشرون الخلافات ويشيعون المخاوف ويبثون الأحقاد ويجعلون من كل طائفة عدوة لأخرى ويجعلون من كل إنسان خصيماً لأخيه .

وهي تجارة تروج مع التخلف وتزدهر في الأزمنة الرديئة .  
ونحن بلاشك في أرداد الأزمات .

وإذ يوشك الظلام أن يشتد ويملاً تجار السوء الأرصفة بيضاءعتهم  
الفاسدة ويقتادى أبالسة الشقاق ليشتموا الناس شرانهم وجدادات ... بينما  
ترحف علينا العداوات من كل جانب وتحن في غفلة ... لا أملك إلا أن أصبح  
بالكل أن تنبهوا .. واستقيموا برحمكم الله .. وسدوا الفرج .. وضموا  
الصفوف .. فليس أولى بالوحدة منا نحن عيال الواحد .. فليس عندنا كثرة  
من الإلهة تختلف عليها ، وإنما هو واحد ، وتبيننا واحد ، وقبالتنا واحدة  
وصلاتنا واحدة .. ولا خلاف بين سنة وشيعة فكلنا بحب أهل البيت  
مشغوقون ، وبسيرتهم مغرمون ، وسيدتنا على هو سيد شباب أهل الجنة  
وهو في أعيننا سنة وشيعة .. والطقوسية ليست بضاعتنا .. وإسلامنا ليس  
ضد النصارى بل هو معهم ما تعاونوا وما تحابوا .. والذين قتلوا مسلمي  
اليوسنة ليسوا بنصارى بل هم وحوش لا ملة لهم ولا دين .. ولو كانوا  
نصارى لمنعهم إنجيلهم الذي يقول أحبوا أعداءكم .. واتباع عيسى بحق  
واتباع محمد بحق هم على طريق واحد وهو طريق موسى وطريق جميع  
الأنبياء ، فكلمة الله لجميع أنبيائه واحدة ، ولكن صهاينة اليهود خانوا  
توراتهم واتبعوا أهواءهم واتخذوا من التلمود والبروتوكولات دستورهم ..  
وصليبية اليوم ليست صليبية نصرانية بل صليبية صهيونية يهودية .

وأقول لكم: اتفقوا وتناصحوا وتحابوا وتآخروا وتماسكوا صفا واحدا .

وإذا كان ربنا يقول إنه لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. فإن  
ما بأنفسنا الذي يريد ربنا أن نغيره هو هذه الأتانية والعصبية والطائفية  
وعبادة الرأي وعبادة النفس وعبادة الهوى وحب الدنيا والانغلاق على  
شخصانية ضيقة غبية عمياء لا ترى إلا لشير واحد أمامها .

لم يطلب منا ربنا حياة تكنولوجيا الذرة والالكترونيات والليزر  
لينصرنا .. وإنما طلب هذا الطلب الواحد البسيط .. أن نغير ما بأنفسنا ..  
وقد أرانا بأعيننا كيف انتهت روسيا دون حرب ؟ وكيف ركعت على أقدامها  
دون أن تطلق عليها رصاصا .. وكيف انهزمت من الداخل .. من داخل

تفوسها فانهارت وعلى ظهرها من القنابل الهيدروجينية ما يكفي لتفجير الكرة الأرضية عدة مرات .. فكذاك تكون نهاية الأمم العملاقة حينما تطفى . وأتوجه بهذا النداء إلى ٤٧ دولة إسلامية فيها أكثر من نصف كنوز الكرة الأرضية وأغلبها يتسول طعامه ويقترض مصروف يومه ، وأقول لهم : منظركم عجيب وأنتم كالأبل الساردة لا تجتمع على كلمة .. ألا تسمعون حادى الصلاة وهو ينادى عليكم :

استقيموا يرحمكم الله ، وسدوا الفرج وضموا الصفوف .

إنما يريد لها سنة حياة لا تعليمات لمدة خمس دقائق .

فصلاة المسلم هي مؤشر لحياته ، ولا صلاة لكم وأنتم ممسكون بعضكم بخناق بعض .

فاجتمعوا وتحابوا واتحدوا فقد تداعت عليكم الأمم تداعى الأكلة على قصعتها وأنتم كثير ولكن كغثناء السيل الذى انفرط وتفرق يديدا .

فهل اجتمعتم .. قبل أن يأتى عليكم الطوفان .. أليس فيكم رجل رشيد ؟ عجبت لكم .. أراكم فى الصلاة تتوجهون بالملايين إلى كعبة واحدة فى مكة .. فإذا انقضت الصلاة انفرط الجمع وتفرقت بكم الطرق .. فمنكم من كعبته واشنطن ، ومنكم من كعبته باريس ، ومنكم من كعبته جنيف ، ومنكم من كعبته إسرائيل ، ومنكم من كعبته صندوق النقد الدولى ، ومنكم من كعبته الـ CIA .. ومنكم من كعبته نفسه .

فأى نجاح تنتظرون وكل منكم حرب على الآخر ؟

هلا أرسلتم النظر لأبعد من أقدامكم ؟ فالموت على الباب والله من ورائكم محيط وما تبقى من عمركم لحظة .. ثم لا يعود يغنى مال ولا بنون ولا جاه ولا ملايين الدولارات فى بنوك نيويورك ولوكسمبورج ولندن .

لقد قررت إسرائيل ياسادة أن تقيم دولتها الكبرى على أكتافكم .. على أكتاف عداواتكم وتفرقكم . وقررت أن يكون ذلك فى السنوات الأربع الباقية من حكم ريجلها كلينتون .

فهل أنتم منتهون ؟